أثر الشبكة العالمية للمعلومات Internet على اللغة العربية (الفيسبوك أنموذجاً)

د. ختام سعيد سلمان

مدخل: إنكم لم تروا شيئاً بعد. (بوب كوكون)

ملخص البحث:

شهد العالم في العقود الأخيرة من القرن العشرين، والعقود الأولى من القرن الحادي والعشرين، تطورا هائلاً في مجال التكنولوجيا، ووسائل الاتصال، والتقنيات الحديثة بشكل غير مسبوق، ومع ظهور الإنترنت كثرت المواقع الإلكترونية، المتمثلة في استعمال الحاسوب، والهاتف النقّال، وغيرها...، وأصبح مجال الفضاء الإلكتروني مفتوحا أمام الجميع، وتبع ذلك تغيّر نوعي وملموس في حياة الناس، من جميع النواحي: الثقافية، والاجتماعية، والترفيهية، والاقتصادية...الخ، وبالطبع لم تكن اللغات بمعزل عن هذه الثورة التكنولوجية، فالإنترنت هو وسيط كتابي بالدرجة الأولى، واللغة (Netlich) هي البضاعة الأساسية للشبكة الدولية، ولما كانت اللغة العربية إحدى هذه اللغات المستعملة؛ فإنّ هذه الورقة تهدف إلى رصد واقع اللغة العربية في ظل هذه الثورة التكنولوجية، وبيان أثر الإنترنت عليها.

تمهيد: اللشبكة الدولية (الإنترنت www)

هي أو هو (١) وسيط إلكتروني عالمي، تفاعلي، أو رابطة من شبكات الحاسب الآلي ذات معايير مشتركة، تُمكّن من إرسال الرسائل من أي حاسب آلي مركزي (أو مُضيف)، مرتبط بإحدى الشبكات إلى مُضيف آخر، وهي تحتوي على آلاف الخدمات التي تسهل حياة الناس، وتختصر عليهم الوقت والجهد، فنجد فيها بيانات الأعمال، والإعلانات، والتسوّق الإلكتروني، جنباً إلى جنب مع الوسائل الترفيهية من أفلام، وأغان، وإذاعات، ومحطات فضائية... وكل ما يبحث عنه المستخدم، وشبّه بعض المُعلقين الإنترنت بسبيكة من التلفزيون، والهاتف، والنشر التقليدي، ويستطيع كل إنسان الاستفادة من الشبكة بشتى الأشكال" (٢)، فإن أرادها مكتوبة يجدها على المواقع على شكل نصوص، وإن أرادها صوتية؛ فهناك الكثير من المعلومات والنصوص الشعرية مُسجلة على شكل مقاطع فيديو، أو صوت فقط" (٣). فالإنترنت ليس كيانا مُوحّداً، بل هو مجموعة من الأدوات يختار منها الناس ما يشاؤون، ويوفر لهم ما يريدون على مدار الساعة، فهو أكبر مكتبة للمعلومات، وفيه أجوبة على كل سؤال، حتى أصبح استخدام الإنترنت جزءاً لا يتجزأ من حياة كل فرد.

وتعدّ اللغة المادة الأساسية في الإنترنت (Internet Language)، وتحتل اللغة الإنجليزية المرتبة الأولى، فهي لغة مرجعية في الإنترنت، وهو يدعم انتشارها، ويتعامل معها على أنها هي اللغة الأمثل للفَهم والإفهام، واللغة هي الوسيلة الأساسية في المواقع الإلكترونية مثل: البريد الإلكتروني E-mail، والمجوعات الحوارية/ تطبيقات الدردشة Chat Application، والمُدونات BLogs، واليوتيوب، ومواقع التواصل الاجتماعي مثل: تويتر، والفيسبوك FacebooK. ويلاحظ كل من يتصفح الإنترنت لعدة دقائق، أنه يلقي الضوء على كل جانب من جوانب اللغة المكتوبة... التي تقابل اللغة المنطوقة،" فالشبكة العنكبوتية تمسك بمرآة تعكس بها البعد الرسومي لحياتنا اللغوية المرئية، بالإضافة إلى قسم من حياتنا الصوتية" (٤).

الفيسبوك وأثره على اللغة:

مع التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل؛ ظهرت مواقع التواصل الاجتماعي مثل: الفيسبوك، وتويتر، والمُدونة،

واليوتيوب، ووصلت هذه المواقع إلى المؤسسات والإدارات، والمدارس، والبيوت، واستطاعت أن تفرض لنفسها مكانا واسعا على ساحة التواصل الاجتماعي؛ لقربها من حياة الناس، وجرأتها، وسرعتها في تحقيق الاختلاط بينهم من مختلف البلدان. وكان لها أثرها الواضح على الجماعات والأفراد، بعد أن اصبحت جزءا أساسيا من حياة الناس. ومن ناحية أخرى جعلت هذه المواقع العالم قرية صغيرة، "وأسهمت في إحداث نقلة نوعية في حياة الشعوب، وصارت الوسائل المؤثرة على الفرد، ففتحت له آفاق المعرفة، وجعلته يتعرف الى ثقافات جديدة... منطلقا الى فضاءات رحبة، لا تقيّده القيود، ولا تحدّه الحدود" (٥).

ويعتبر الفيسبوك أحد أهم مواقع التواصل الاجتماعي، وهو وسيلة تواصل إعلامية جماهيرية على نطاق واسع، فهو إبداع اجتماعي أكثر من كونه إبداعا تكنولوجيا، إذ يوفر للمستخدمين في جميع أنحاء العالم سهولة الاتصال، بسرعة وبدون تكاليف، ويستطيع أي شخص أن ينضم إليه، وأن ينشئ حسابا أو أكثر.

قام بتأسيس موقع الفيسبوك الأميركي مارك غوكير بيرغ بالاشتراك مع زملائه في جامعة هارفارد، وكان هدفه تصميم موقع على الإنترنت يجمع زملاءه في الجامعة، ويمكنهم من تبادل الأخبار والآراء والصور، وسُمي بالفيسبوك على اعتبار أنه دفتر ورقي، يحمل صورا ومعلومات لأفراد في جامعة معينة، أو مؤسسة، أو إقليم. وفي الرابع من شهر شباط تم إطلاق موقع الفيسبوك، وحقّق منذ البداية شهرة واسعة، وبعد عامين من انطلاقه قرر مؤسسه أن يجعله مفتوحا أمام الجميع للانضمام إليه، من أجل التواصل والتفاعل مع الآخرين، فزاد عددالمستخدمين من شتى بقاع الأرض، ويقال إنّ الموقع يضم حاليا أكثر من مليار مستخدم، وهذا العدد مرشح للزيادة.

أصبح الفيسبوك مكاناً مثالياً للتفاعل الاجتماعي، والتواصل مع الآخرين، والتعارف، وتبادل الاراء، وكلمات المجاملة والتودد، وهو مكان ساحر، حيث يقضي معظم الناس - على اختلاف فئاتهم العمرية - ساعات طوالا أمام شاشات الحاسوب، أومع الموبايل، لتَصفحه والمشاركة في المجموعات الحوارية من أصدقاء الفيسبوك (العالم الافتراضي)، مع إمكانية عمل دردشة صوتية ومرئية، وإرسال صور، وملفات فيديو، وتجدر الإشارة إلى أن المجموعات الحوارية في متناول الجميع، بصرف النظر عن الجنس، أو الدين، أو السن، أو الثقافة، أو المقدرة اللغوية للأعضاء. وترى الأشخاص سعداء وهم يتابعون كل ما يستجد على صفحات الفيسبوك، لدرجة تؤدي بهم الى فقدان الشعور بالواقعية، وعدم القدرة على تحقيق التوازن بين الأنشطة المختلفة في الحياة، والتزامات الأصدقاء؛ الأمر الذي أدى إلى حظر الموقع في بعض الدول، وفي العديد من أماكن العمل لمنع الموظفين من إضاعة وقتهم فيه.

لقد أتاح الفيسبوك للمشاركين فرص المشاركة الفعالة في مناقشة كل القضايا، والتعبير عن أنفسهم بكل حرية، وبشكل سريع، على نحو تَحوّل معه الفضاء الإلكتروني إلى مجتمع صغير يناقش الأزمات والمشاكل، والقضايا الإنسانية والسياسية، و..، " بدون تابوهات تقليدية، واقتحمت هذه المواقع تابوهات السلطة، والدين، والجنس، على نحو أصبح معه المجتمع مكشوفا، ولا توجد فيه مُحرّمات... وتزامن ذلك مع ازدياد نشاط الفضائيات، والصحف الخاصة" (٦).

أثر الفيسبوك على اللغة:

اللغة هي وسيلة تواصل بين البشر، وبها يُعبّر الناس عما في نفوسهم من مشاعر وأحاسيس واحتياجات، " وهي ظاهرة اجتماعية من صنع الاجتماع الإنساني، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي حُبي هذه النعمة" (٧). "و هي مظهر من مظاهر الابتكار، في مجموع الأمة أو في ذاتها العامة، فإذا هجعت قوة الابتكار توقفت اللغة عن مسيرها" (٨). وكان للفيسبوك دور هام في تحقيق التواصل بين البشر على بعد المسافات، واختلاف الأجناس والأديان، بصورة مجانية وحرّة في اختيار اللغة التي يريدها المتحدث، ونتج عن هذا تغيير في أساليب الاتصال المألوفة، وظهور ما يسمى بعلم لغة الإنترنت التطبيقي، وشعار المستخدمين هو: نكتب لنَفهم ونُفهم، ولا نكتب حتى نتماشى مع قواعد اللغة وإملائها، فالتواصل الاجتماعي على صفحات الفيسبوك قَلب مفهوم التواصل اللغوي، وطوّر الناس لغاتهم بما يتناسب وحاجاتهم من الفهم والإفهام، واختصار الجهد والوقت، وأصبح الفيسبوك وسيطا لاستعمال لغة جديدة يدركها كل من يتعامل مع هذا الموقع. وجاء في دراسة أعدها الموقع القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة، على شريحة عشوائية، بين١٥-٣٥ عاما، رصدت تأثير

الإنترنت على مفردات اللغة المتداولة بين الشباب على مواقع الإنترنت، جاء فيها: "إن الشباب ابتدعوا لونا جديدا من الثقافة، واستعملوا مفردات لغوية خاصة، لا يستطيع أحد فك رموزها غيرهم" (٩).

مستويات اللغة على الفيسبوك:

أما عن أثره على اللغة العربية فهناك وجوه شتى للخطاب الإلكترونيelectronic language، منها وجوه جميلة ايجابية، و وجوه مشوّهة وسلبية، وهذا يرجع إلى كثرة مستخدميه، وتباين مستوياتهم الثقافية، وقدراتهم اللغوية، وأهدافهم من استخدام الموقع، فعالم الفيسبوك عالم فتّان، وجد فيه الناس وسيلة مجانية لقضاء أوقات فراغهم بشكل ممتع، حيث يتيح للمشاركين فرص التواصل مع الأفراد والجماعات، والدخول في محادثة متعددة الأطراف، تسمح لهم بالتعبير عن آرائهم في المنشورات التي يتابعونها، وهي منشورات متعددة الموضوعات والأغراض، فقد تكون دينية، أوسياسية، أو أدبية ثقافية، أو فنيّة ترفيهية، أو تجارية أو تحريضية،...الخ، بحيث يجد كل مستخدم ما يناسب ذوقه وحاجاته، ولما كانت اللغة هي المادة الأساسية للتواصل، فقد أتاح لنا الفيسبوك الفرصة لتبادل اللغات، والتعرف إلى ثقافات الشعوب ولهجاتهم، وظهور ما يسمى بلغة جديدة تتميز بالتعددية اللغوية، والتنوع في الخطاب حتى عند الناس العاديين، عن طريق الكثير من التطبيقات التي وفرها للمستخدمين.

مثال على ذلك تبادل التحية الصباحية يظهر في صور مألوفة، كقولنا: صباح الورد، صباح الفل، صباح الياسمين،...، أو في صور مبتكرة غير مألوفة تظهر في شعر، أو أغنية، أو صور، أو بطاقات من الورد الجميل للتعبير عن المشاعر التي يحملها المُرسل للمتلقي، وبذلك أتاح لنا الفيسبوك مشاهدة اللغة المكتوبة في أكثر حالاتها بدائية، وتلقائية، دون تدخل المراجعين والمدققين اللغويين، وأعطى المشاركين فرصا لتطوير قدراتهم التعبيرية للحاق بمن يملكون هذه القدرات، وهذا ظاهر في ايقونة التعليق/ comment، إذ يتسابق المعلقون في اختيار اللغة الأجمل، اللغة التي تنال الكثير من الإعجاب/لايكات / like من المتابعين، وذلك جنبا الى جنب مع الآيات القرانية، وأقوال الحكمة، والمقالات الراقية، والنصوص المختارة من الشعر الجميل؛ القديم والحديث، والخواطر، وما يرافقها من إحالات إلى روابط تتضمن هذه النصوص، وزاد الاهتمام باللغة العربية حين قام هواة الأدب بإنشاء الصفحات الأدبية، والمنتديات لتشجيع أصحاب المواهب، والأقلام الواعدة، وتقديم الدعم اللازم لهم لنشر هذه المحاولات في كتب تُثري المكتبة العربية، منها مثلا: منتدى ربوة الشعراء وملتقى الأدباء، وقلائد الجمان، وواحة الشعر والأدب، وللتمثيل على اللغة الأدبية الراقية لبعض المشاركين؛ اخترت لكم: " قرأنا جمان البحر، وغُصنا في أعماق يمّها، وقطفنا من درها المكنون، من خلال هذه المقدمة الرائعة،، مما جعلنا نحلم بأبجدية نُرصع بها دواوينها، ألا وهي مقدمة الأستاذ المُفوّه والمتمكن من لغتنا العصماء، أهديكما أسمى تحياتي وتقديري، وأتمنى لك أيتها الجمان كل الخير والتوفيق، كما للأستاذ أحمد موسى.. مبروك سيدة جمان ". " مبروك الكُتيّب والنشر، سعدتُ جدا بتلك الخطوة، يستحق فكرك الخصب وأسلوبك المميز أن يتجاوز الفيسبوك، وأن يصبح واقعا ملموسا بين دفتيّ كتاب، ممزوج برائحة الورق الملهمة، صدقيني أيتها الأم الحنون والصديقة المفضلة؛ ان أثر حروفك تتعدى اللغة الجميلة، إنها تكسب سلاما داخليا، في زخم العبثية الفكرية، ثمة كُتيّب نثري ربما يعيد التوازن في النفس، نسترد فينا شيئا نسيناه مع ضغوطات الحياة". "جميل أنت كعادتك يا دكتور، هنيئا للطب ان يكون بين أربابه امثالك من الأدباء، لتكتمل رسالته الإنسانية. مع شكري الجزيل لمداخلتك المحبة هذه، أتمنى أن أرى روايتك مطبوعة في أقرب وقت، ففيها ثراء للأدب والتاريخ معا؛ لأنها مزيج منهما".

وتجدر الإشارة إلى أنّ كبار الأدباء لهم صفحات أدبية من إنشائهم، أو من إنشاء معجبيهم، وتحظى باهتمام أعداد كبيرة من الناس، نذكر منهم الروائية أحلام مستغانمي..فلديها على صفحتها الشخصية أكثر من أحد عشر(١١) مليون معجب، وأكثر من أحد عشر (١١) مليون متابع. اما الشاعر نزار قباني فله على صفحة واحدة فقط أكثر من أحد عشر (١١) مليون معجب، وأكثر من أحد عشر (١١) مليون متابع، وللشاعر محمود درويش الكثير من الصفحات الأدبية: محمود درويش الأسطورة، محمود درويش الأقلام الراقية، محمود درويش، مجلة درويش، درويشيات... هذه الصفحات وأمثالها تخدم اللغة العربية، وتقدمها بالصورة المتألقة التي تليق بها، وتستقطب بشكل مستمر المهتمين باللغة العربية،

والغيورين عليها، والحريصين على بقائها صاحبة الجلالة. ويمكن القول إنّ المنتديات الأدبية الراقية حلت محلّ الكتاب، فهي الأقرب إلى القارئ؛ لمزاياها الكثيرة، وهي في متناول الجميع، والأسهل في القراءة، والأسرع في توفير المعلومات. وبذلك عملت على نشر الثقافة، وتعميمها، وخدمت الأدب شعرا ونثرا. وفي الوقت نفسه؛ فقد أتاحت الحرية غير المسبوقة على هذا الموقع الإلكتروني؛ استعمال تنويعات لغوية مختلفة، تهدف إلى التعبير بشكل يرتاح له المُرسِل (المنشئ)، وربما يرتاح له المُتلقي، مما أدى إلى تباين المستويات اللغوية، بين اللغة العربية الفصحى التي تعبر عن طبقة المثقفين؛ في أنماط مهنية مختلفة، وبين اللغات/ اللهجات العامية التي تُمثل اللهجات الإقليمية، والمستويات الطبقية، والمُتصفح لموقع الفيسبوك يجد" علامات واضحة على بزوغ تنويعة متميزة من اللغة، ذات سمات تتصل عن قرب بخصائص السياق، جنبا إلى جنب بمقاصد المستخدمين وأنشطتهم، وإلى حد ما بشخصياتهم" (١٠). أمّا عدد التنويعات اللغوية الناشئة عن التواصل على صفحات الفيسبوك حاليا، أو التي سوف تظهر فيما بعد، فهذا الأمر من الصعب تحديده؛ في ظل التطور التكنولوجي الهائل، لذا فإنّ توصيف لغة الفيسبوك أمر قابل للتغيير، فالمستخدمون يطوّرون لغتهم بما يتلاءم و احتياجات المواقف المستحدثة، ومواكبة التطور، وهو ما يقع في صميم التطور اللغوي.

خصائص اللغة الفيسبوكية :

هناك خصائص عامة تتجلى في التوجّه إلى اللغة البسيطة، المباشرة، الواضحة، المفهومة، " في اسلوب بسيط يحرص على المادة الفكرية، والعاطفية، والتعبير عنها أكثر مما يحرص على البهرجة اللغوية، والزخرفة اللفظية" (١١)، مع ميل إلى الاختصار والايجاز، وحذف ما هو معلوم، وانتقاء الألفاظ الرقيقة الأنيقة، التي تُقرب الناس بعضهم من بعض، وتبعث فيهم الرغبة في القراءة والمتابعة، فالكلمة المقروءة لها نزعة تأثيرية، الغاية منها التأثير في المخاطب، وربما كان أثرها في النفس أقوى من الرسائل الصوتية، فهي تعطي الآخر الفهم الكافي للقراءة، وإعادة النظر، وفهم ما يريد بوضوح، كما تعطي الكاتب فرصة للتفكير فيما يكتب، ومراجعته، وتعديله قبل الإرسال دون أن يترك أي أثر، مثلا: " أحسنتَ النشر. كلام من ذهب. إبداع متجدد، وذوق راقٍ. النجاح والتألق حليفكم دائما. شفّافة بكل ما تخط يمناكِ. حروفك راقية وجميلة. لقلبك السعادة..." وتكثر في هذا السياق العبارات المتوارثة الشائعة بين الناس، والتي تشبه (الكليشيهات)، مثل: " وهل يخفى القمر. إبداع منقطع النظير. حروف من ذهب. لا شكر على واجب. كلمة شكراً لا تكفي....." وقد فقدت هذه العبارات؛ لكثرة استعمالها رونقها، وقدرتها التأثيرية على الناس".

يقابل هذا الأسلوب المختصر البسيط، جنوح بعض المشاركين إلى الإطالة، واستعمال المترادفات، والتكرار، لتوضيح المقصود، وإزالة اللبس، وإقناع القارئ، أو لاستعراض ثقافتهم، وحصيلتهم اللغوية، فيلجأون إلى الأسلوب المنمق المتمثل في استعمال المُحسنات البديعية؛ كالسجع، والجناس، والطباق...، مثال: هناك من يُضحّي لك، وهناك من يضحّي بك. هناك من يهديك الاهتمام دون أن تعطيه أي شيء، وهناك من يهديك الألم بعد أن تعطيه كل شيء. وكل ما قد قيل، وكل ما سيقال، وكل ما لم يقل في الحب فهو لك.

لقد أتاح الفيسبوك فرصا لا حصر لها لنشر الكتابات الأدبية، التي تتراوح ما بين كتابات تستحق المتابعة، ومحاولات كتابية رديئة، ولعل من أسباب ذلك غياب المعايير النقدية التي تُميز الغثّ من السمين، كما تعود إلى وجود وهم كبير لدى كثير من الناس مفاده:" أنا أشعر، اذن أنا أستطيع أن أكتب الشعر...وهل الشعر الاّ شعور؟ فلماذا لا تكون كل كتابة عن المشاعر أو أي فضفضة شعرا؟ " (١٢). وكانت النتيجة هذه المنشورات المثقلة بالسجع السمج، فلا هي نثر يستفاد منه، ولا هي شعر نطرب له. ومن المؤسف له انّ هؤلاء (المُتأدبين) يجدون من يصفق لهم، ويكيل لهم عبارات المدح والثناء، فالمشاركون يتبادلون عبارات الود والمجاملة، ويسجلون الإعجاب بأشياء دون أن يقرأوها، وهذه المجاملات متبادلة، تشهد لي اليوم، واشهد لك غدا، وقلما يتجرأ أحدهم فيكتب نقدا موضوعيا؛ فهو إن فعل سيعرض نفسه للوم والتوبيخ، ثم حذف تعليقه، وأخيرا ايقاع أقسى العقوبات عليه، وهي الطرد من المجموعة، وتحريض باقي الأعضاء ضده، لعمل حظر له (block)، وأكتفي بالشاهد التالي (١٣):

انا لن اعود اليك
مهما رايت من دموعك
فانا لم اعد انخدع بتوسلاتك ووعودك
لا يامن كنت يوما رفيقة دروبك

فما عادت كلماتك تؤثر بى ويثيرنى رجوعك
انت الذى بدات بالهجر وابعتنى عن طريقك
وتركتنى اداوى جراحى بصدودك
اذن فقد انتهى ما بيننا ولست امل برجوعك
فانت الذى خدعني وكنت اسيرة حبك وعهودك
فلن اعود اليك مهما استرحمتنى بدموعك

هذه المحاولة لنظم الشعر تقودنا للحديث عن الوجه الآخر للغة العربية على الفيسبوك، "في ظل غياب مقاييس اللغة النموذجية، كما حددتها لسانيات اللغة Linguistics، فلم يلتزم كثير من مستخدمي هذا الفضاء بالقواعد العامة التي تخضع لها اللغة، في ضوء اللسانيات التطبيقية، فكُثرت فيها الأخطاء اللغوية: النحوية، والإملائية، والطباعية؛ "الأمر الذي يثير غضب الغيورين، والأكاديمين، فهذه الرسائل لا تخضع لتدقيق لغوي، ولا يقوم الناس بمراجعة ما يكتبون" (١٤)؛ لغياب السمة الرسمية لهذا الوسيط اللغوي، أضف إلى ذلك البون الشاسع في المستوى الثقافي للمستخدمين، الأمر الذى أدى إلى ظهور نماذج لغوية متعددة، وأشكال جديدة لم تكن معروفة من قبل. فالتواصل بين الناس عبر الفيسبوك قلب مفهوم الخطاب اللغوي، وطوّع الناس لغتهم بحيث تفي بالمتطلبات الجدية، فكثرت الأخطاء اللغوية، وهذه الأخطاء في تزايد مستمر، فالناس لا تخجل من الخطأ، ما دام شعارهم نكتب لنَفهم ونُفهم" (١٥).

وربما كان الخطأ الإملائي أهم أخطاء الكتابة؛ لأن الكتابة غير الصحيحة تؤدي إلي فهم خاطئ، وإذا أسأنا الفهم فلن نصل إلى المقصود، ونذكر في هذا المقام ما قاله محمود درويش عن الكلمات والحروف (١٦):

كلُ ما لا تبلغه يداك الصغيرتان ملكُ يديك الصغيرتين
إذا أتقنتَ التدوينَ بلا أخطاء
مَن يكتبْ شيئاً يملكه
ستشمّ رائحةَ الوردة من حرف التاء المربوطة
كبرعم يتفتح
وستذوقُ طعمَ التوت من جهتين:
من التاء المتصلة...ومن التاء المفتوحة كراحة يد
الحروفُ أمامك، فخذها من حيادِها والعبْ بها
...
من يكتبْ شيئا يملكُه
....

وللتوضيح نبدأ بخير مثال يوضح النظام الكتابي الجديد، كتب أحدهم: "بوكاء القلب أقوى من بوكاء العين".

فرد عليه آخر:" وبكاء اللغة العربية أقوى من الاثنين".

نعم، مع هذه الكتابة المُشوّهة، والاستخفاف باللغة العربية، يحق لها أن تبكي، وأن تخاف على مستقبلها، ومن الأخطاء المحزنة التعبير عن تنوين الكلمة بإضافة حرف النون، مثلا: شُكرن، عفون، دايمن، صحيح أن هذا يحصل في العامية، لكن عدواه تنتقل إلى الفصحى ما دام مكتوبا. وفي الفصحى هناك أخطاء في تنوين الهمزة، مثل إضافة الألف للكلمات التي تنون مباشرة، كقول الشاعر:

إذا سرق الفـقير رغيف خبز
ليأكله سقوه السم ماءا
ويسرق ذو الغنى أرزاق شعب
برمته ولا يلقى جــزاءا

وقال آخر: ستعلم كم أموت من أجلك، حبّا، خوفا، وفاءا

وبالطبع هناك أخطاء كثيرة في كتابة الهمزة، بدءا من تثبيت همزة الوصل(إجعل، إشتياق، إستعمال، إتصل وإربح...)، ثم إلغاء همزة القطع في أول الكلمة في الحروف والأفعال والأسماء، (ان، ان، اكتب، اتمنى، اصبح، انا، ابوك، امك،...)، يضاف إلى ذلك الأخطاء التي لا تعد ولا تحصى في كتابة الهمزة وسط الكلمة، أو في آخرها، وللتمثيل: "اصبحت كل مجموعة تستعمل الشعر لابراز محاسنها ودرئ المساوء"." الشتاء بارد يحتاج لدفئ، والدفئ حب، والحب لحن جميل".

فالكتابة بالفصحى لم تخلُ من الأخطاء النحوية، وكأنّ سلامة اللغة والمحافظة على قواعدها، لم تعد تهم المستخدمين، فيضبطون اللغة كما يشاؤون، انظر إلى الفقرة التالية، وقد نقلتُها بأمانة، "سأل أحدهم رجلٍ عجوز: من هي المرأة التي لا ينساها الرجل أبداً؟ فردّ قائلاً: من زرعتْ في قلبه جرح، ثم رحلتْ.

لا تعطي البعض أكبر من حجمه. عندما يصمت أحد في قمة الألم، فاعلم بان كل شيء فيه يبكي الاّ عيناه.

ومن صور التعبير الشائعة على الفيسبوك؛ استعمال اللغة المزدوجة التي تجمع بين الفصحى والعامية، مع

ترجيح كفة العامية، لقربها من النفس، وتلقائيتها، وعدم خضوعها للضوابط اللغوية، ويكمن الخطر في استعمال اللهجات العامية؛ في كونه يؤدي إلى خلق عامية موثقة (١٧)، وأمثلتها كثيرة: هل يوجد احد يبحث عن عمل؟ لانو في مطعم للوجبات السريعة بدو حدا علكاش. عندي امتحان الثلاثاء جغرافية بشرية والأربعاء عندي امتحان علاقات دولية حاسة حالي مش قادر اجمع حدا يساعدني.

ويشكّل استخدام العامية واللهجات المحلية حيّزاً كبيراً بين الأصدقاء، فالمصري يتكلم بلهجته، والشامي، والعراقي، والخليجي، يستخدمون أحيانا، وبشكل مقصود، أو غير مقصود لهجاتهم الإقليمية خاصة فيما بينهم، ولكنهم يرتقون إلى الفصحى مع أصدقائهم من الدول العربية، وهذا بدوره ايجابي من ناحيتين الأولى: التعرف إلى مفردات اللهجات العربية، والأخرى نمّو الشعور عند الجميع بضرورة إتقان الفصحى (لسان الضاد الذي يوحّد الجميع). وتعد اللهجة المصرية أكثر اللهجات شيوعاً؛ وهذا عائد إلى كثرة المستخدمين من مصر، ثم إن اللهجة المصرية مفهومة في معظم الدول العربية؛ ومن اللهجات غير المفهومة لهجات المغرب العربي، كتب أحد الأصدقاء من تونس: نحب نعرف الخط الجوي اللي باش يربط تونس بأربيل شنوة الفائدة منه ؟ فرد عليه صديق: كان الكلام من فضه يكون السكات ذهب والعز للي يخطه ما هوش للي يحب.

لمن يحب تعلم اللهجة الكويتية يدش هني.

يبغالها شوي تركيز الله يخليج (يخليك) وان شاء الله تحفظينها ورح اسويلج (اسوي لك) امتحان فيها

اختي شلونتش شخبارتش زين

ومن أبرز ملامح الكتابة على الفيسبوك؛ استخدام الأيقونات العاطفية emoticons، والصور، ولغة الإشارات؛ للتعبير عن المشاعر، وترميز الانفعالات بدلا من استخدام الكلام، أوتكون مصاحبة له، والغاية منها إعطاء طاقات تعبيرية معينة، أو نقل درجة الانفعال، أو الملامح الأساسية لتعبير الوجه، لأن الكتابة تحذف تعبيرات الوجه،...وتحذر الكتب الإرشادية الخاصة من الإفراط في استخدامها لأنّ هذه الأشكال تسمح بعدد هائل من التفسيرات: السعادة، البهجة، النكتة، الحالة المزاجية الرائقة،... وقد تؤدي إلى سوء فهم خطير لمقصد المستخدم (١٨).

أما انتشار الثنائية اللغوية أو ما يعرف بالعربيزية؛ فتمثّل ظاهرة التلوث اللغوي على الفيسبوك في أسوأ صورها، فالمستخدمون يكتبون الكلمات العربية بحروف لاتينية، وهذا النوع من الكتابة متعب جدا في القراءة، على الرغم من شيوعه، وللتوضيح أكتفي بمثال واحد: " tab iza metzaker el coming soon ell rafa٣tha la ramzi.".e٧na shohood ٣yan mohehmeen" وأحيانا يحصل العكس فيكتبون الكلمات الأجنبية بحروف عربية (١٩)، مثل: هابي بيرثدي، كونترول، أدمن، اوكي، شير... وغيرها مما يعرفه الجميع. وهناك مستوى آخر من اللغة المكتوبة يمزج الكلمات العربية بالإنجليزية، بشكل غير مألوف من قبل، وزادت هذه الظاهرة مع شيوع الثقافة الإلكترونية، وبدت للناس وكأنها لغة جديدة، فتساءل بعضهم ساخرا: يو سبيك عرابيزي؟ من الأمثلة عليه: ما هو حكم يلي بكون نايم ع الفيس وفايق ع الواتس؟

جلد حتى الموت بسلك المووديم. يحرم الايرلس في الآخرة.

تحياتي للجميع فورمات فرنسي اذا موجود

اناطالب أدبي بنفع اخد ماينر علم حاسوب

بنجيب فيرست صعب وبنزيد علامتين وسكند اصعب بس ما بنزيد لانه زدنا على الفيرست

بليز اعملو تاغات وفيديو لبعض

وصدق الشاعر حافظ أبراهيم حين وصف هذه الفوضى اللغوية منذ زمن بعيد:

سَرتْ لوثةُ الإفرنج فيها كما سرى
لعابُ الأفاعي في مسير فراتِ
فجاءت كثوب ضَم سبعين رقـعةً
مشكّلةَ الألـــــوانِ مختلفاتِ

ويرى بعض الدارسين أن انتشار هذه الظاهرة يعبر عن نفسيات مهزوزة، غير معتدة بنفسها، ظنّا منها أنّ من يكتب بحروف لاتينية، أو يستعمل كلمات انجليزية هو إنسان متحضر. امّا الكاتبة أيلين خوري فعزت لجوء الناس وخاصة الشباب إلى استعمال لغة خاصة للتواصل بينهم، " إلى وجود شعور بالاغتراب لديهم، يدفعهم للتمرد على النظام الاجتماعي، وتكوين عالمهم الخاص بعيدا عن قيود الآباء...، وهم يؤلفون هذه اللغة كقناع في مواجهة الآخرين" (٢٠).

أما أستاذ الإعلام بجامعة القاهرة د.صفوت العالم فله رأي آخر، " إن تكرر ظهور لغات جديدة بين الشباب هو أمر

طبيعي، يحدث من مدة لأخرى، وأن الإنترنت ليس وحده المسؤول عن تلك الظاهرة، لأن استخدام اللغة الأجنبية في بعض أماكن العمل، وتردي التعليم، واستعمال الدراما لألفاظ شاذة من اللغة،...عمل على زيادة هذه الظاهرة (٢١).

كما شاعت بين الناس لغة جديدة للتواصل، وهي اللغة السريعة التي تعتمد على المفردات المختصرة؛ لتوفير الوقت، فشبكة الإنترنت أصلا تعتمد على المختصرات، فهي: www وتُبين المختصرات الهيئات التي ينتمي إليها العنوان الإلكتروني،مثلا:com:تجارية، mil: عسكرية، edu: تعليمية وهكذا. ومنها اللغة الرقمية حيث حلّت الأرقام محل الحروف العربية، التي لا مقابل لها في اللاتينية، وأصبحت لغة مشتركة؛ يعرفها الجميع على اختلاف مستوياتهم الثقافية، ومن أمثلتها: أ-٢، ح-٧، خ-٥، ط-٦، ع-٣، غ-٨، ق-٩، ولقيت هذه الظاهرة رواجا عند الناس لأن الحرف العربي يعاني من بعض المشاكل، مثل غياب الحروف التي تمثل الصوائت القصار، كما انّ الوقف على الكلمات يكون بالتسكين، فتتساوى في الكتابة كلمات(أنتَ، أنتِ) (منكَ، منكِ)، مما دفع بعض الناس إلى إضافة الياء إلى الضمائر؛ للتمييز بين المخاطب المذكر والمخاطبة، مثل: أرجوكي، أنتي، منكي، عملتي، عليكي....

وفي نهاية المطاف ينبغي التنويه إلى وجود علامات الترقيم، والتأكيد على ضرورتها، وأنها ليست حِلية لفظية كما يراها البعض، ويلاحظ المتابع لعلامات الترقيم أنه ليست هناك قواعد مُتبعة في استخدامها، فقد تكون مُغفلة تماما، أو مستعملة بشكل غير صحيح، مثلاً: استخدام علامة مكان أخرى، أوتكرار علامة بعينها دون سبب، أو ظهور علامات جديدة لا نعرفها، وهذا الوضع طبيعي لاسيّما أن عدداً كبيراً من المستخدمين لا يتقن اللغة العربية بشكل جيد، والمهم عندهم هو الإفهام وليس سلامة اللغة.

خاتمة:

لقد لعب الفيسبوك دوراً كبيراً في التنوع اللغوي، وأعطى المستخدم الحرية المطلقة في اختيار المستوى اللغوي الذي يريده، وقد تراوح بين استعمال الفصحى في أرقى صورها، ثم الفصحى المختلطة بالعامية، يليها العامية العامة المحلية والعربية، والعربية المختلطة بالكلمات الأجنبية، وبصورة مختصرة قدّم الفيسبوك صورة مكتوبة صادقة للغة العربية المحكية، واللغة العربية الرسمية، بدون أقنعة، بعد أن غابت الرقابة الاجتماعية والأخلاقية، والمعايير الدقيقة للصواب والخطأ، ومن أبسط الأمثلة عليه عبارة: "أنت خاء وألف بينهما راء".

أما بالنسبة إلى أثره على اللغة العربية، فقد تضاربت الآراء، فهناك المتشائم الذي يرى أن العربية في خطر، وأنها بحاجة إلى حماية، وأنّ المعايير اللغوية سوف تتهاوى، وأن الإبداع سيضمحل، وأن نوعية اللغة المستعملة فيه هي التي سوف تسود (٢٢)، ويدعو إلى اتخاذ إجراءات عملية تعمل على تعزيز صورة العربية محليّاً، وتسعى إلى نشرها عالمياً.

ومع ذلك فإنه ينبغى ألا ننسى آثاره الإيجابية على اللغة، حيث عمل على إثراء اللغة، بدخول ألفاظ جديدة إليها عن طريق الترجمة المبرمجة، وأتاح مجالا واسعا للتنوع اللغوي، وقرّب بين اللهجات العربية، وشجّع المشتركين على التسامي عن لهجاتهم المحلية، والارتقاء بها إلى استعمال الفصحى التي يفهمها الجميع؛ لأنّ الهدف في النهاية هو تحقيق التواصل دون مشاكل، وبدون اللغة المفهومة لا يكون هناك تواصل اجتماعي.

والله من وراء القصد

مراجع البحث (الهوامش):

١) الإنترنت هل هو مذكر أم مؤنث؟ قيل إنها مؤنث لأنها تبدأ بكلمة شبكة، والشائع هو التذكير، نقول: إنترنت سريع أو إنترنت بطيء، ونقول: انقطع الإنترنت...وخلاصة القول مادام التذكير أو التأنيث لا يثير غرابة، فبإمكان الإنسان أن يستخدم ما يشاء.

٢) ديفد كريستال، اللغة والإنترنت، ترجمة أحمد شفيق الخطيب، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥: ص ١١٣.

٣) بواسطة عبد الحميد شمس الدين. (٢ نيسان ٢٠١٤). ما هو الإنترنت. من الموقع الإلكتروني:

http://mawdoo٣.com/%D٨٥%٩D%٨A%-٧D%٨٧%٩D%-٨٨%٩D%٨A%٧D%٨٤%٩D%٨A%٥D%٨٦%٩D%٨AA%D%٨B%١D٨٦%٩%D%٨AA%D٩%٨F.

٤) ديفد كريستال، اللغة والإنترنت، ص ٢٤٥.

٥) مريم غزال ونور الهدى شعوبي، تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على تنمية الوعي السياسي، الجزائر. ج/١ ص١٠.

٦) يوسف ورداني، ثقافة الشباب بين تحديات الإنترنت وعجز الدولة، معهد «الوارف» للدراسات الإنسانية، واشنطن، ٢٠٠٩. ص٢.

٧) محمد عيسى برهومة، اللغة والتواصل الإعلاني، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ٢٠٠٥، العدد ٦٩، ص٦٧.

٨) جبران خليل جبران، الآثار الكاملة، مقالة مستقبل اللغة العربية، ص٥٣٣.

٩) يوسف ورداني، ثقافة الشباب بين تحديات الإنترنت وعجز الدولة، مرجع سابق، ص٥.

١٠) ديفيد كريستال، اللغة والإنترنت، ص ٢٨٧.

١١) عبد العزيز شرف، اللغة العربية والفكر المستقبلي، دار الجيل ط١، بيروت، ١٩٩١، ص٥٦.

١٢) بهاء الدين مزيد، المؤتمر الدولي الأول للغة العربية، بيروت، ٢٠١٢. ١/٧٠.

١٣) نقلتُ النص كما هو، ويلاحظ القارئ أنّ همزة القطع لا تُكتب (فانا، فانت، رايت، بدات)، بالإضافة إلى أخطاء لغوية أخرى.

١٤) أمينة شنتوف، تأثير الفيسبوك على اللغة العربية، المؤتمر الدولي الخامس "العربية وهوية الأمة"، عمان، ٢٠١٢.

١٥) ختام سعيد سلمان، اللغة العربية وتحديات العصر، المؤتمر الدولي الأول للغة العربية، بيروت، ٢٠١٢. ١/٧٠٢.

١٦) محمود درويش في حضرة الغياب، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.

١٧) وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، دار البداية، عمان، ٢٠٠٧. ص٧٠.

١٨) ديفد كريستال، اللغة والإنترنت، ص٥٢.

١٩) لمشاهدة المزيد من هذه الصور، يُنصح بالعودة إلى حلقة (أبله فاهيتا) من خلال الرابط التالي:

https://www.youtube.com/watch?v=١fVX٦mE٤Y-U.

٢٠) علاء أوسي. (٢٢ شباط ٢٠١٢). الفيسبوكية واللغة العربية.. وجهاً لوجه. من الموقع الإلكتروني:

http://www.alukah.net/culture/٣٨٦٢٨/٠/.

٢١) يوسف ورداني، ثقافة الشباب بين تحديات الإنترنت وعجز الدولة، مرجع سابق، ص٥.

٢٢) ديفد كريستال، اللغة والإنترنت، ص٨.